

البعد الدلالي للاستفهام في سورة آل عمران نموذجا

The semantic dimension of interrogation in the Holy Quran: Surah Al Imran as a Case Study.

فاطمة وكال

proffati12@gmail.com

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 02 (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2026/06/30 تاريخ القبول: 2026/08/23 تاريخ النشر: 2026/10/01

ملخص:

يعتبر الاستفهام واحدا من الأساليب الإنشائية الطلبية التي يقصد إليها المتكلم للتعبير عما يدور في مخيلته رغبة في البحث والمعرفة والتواصل، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال توظيف أدوات معينة تؤدي الوظيفة الدلالية للجملة.

سنحاول في هذا المقال معالجة البعد الدلالي للاستفهام في التراث البلاغي، وذلك لتعدد أساليب الاستفهام ودلالته وخروجه إلى معان يحددها السياق وخصصنا سورة "آل عمران" لنوضح قدرة الاستفهام في القيام بدوره داخل التركيب اللغوي، واخترنا القرآن الكريم لأن فيه الاستفهام بكثرة، فلا تكاد تخلو سور القرآن من الاستفهام. الكلمات المفتاحية: الاستفهام، مجازي، البعد الدلالي، الخطاب.

Abstract:

Interrogation is considered one of the rhetorical modes of expression used by the speaker to convey what is on their mind in pursuit of inquiry, knowledge, and communication. This can be achieved only through the use of specific tools that fulfill the semantic function of the sentence.

In this article, we aim to explore the semantic dimension of interrogation within the tradition of rhetorical heritage, due to the variety of interrogative forms, their meanings, and their deviation into meanings defined by context. We have specifically chosen Surah Aal-E-Imran to illustrate the power of interrogation in fulfilling its role within linguistic structures.

We selected the Qur'an because interrogative forms appear frequently in it — rarely does a surah lack instances of interrogation.

Keywords: Interrogation, figurative, semantic dimension, discourse.

*المؤلف المرسل: فاطمة وكال

1. مقدمة

لا يقتصر البعد الدلالي للاستفهام على مجرد طلب المعرفة أو الحصول على إجابة محددة، بل يتعداه إلى أغراض بلاغية وتداولية تكشف عمق اللغة ومرونتها، فغالبا ما يستخدم الاستفهام بلاغيا لتحقيق أهداف أخرى مثل: "التقرير، النفي، التوبيخ.....". ويكمن ثراء هذه الظاهرة اللغوية في قدرتها على تحويل المعنى الظاهر إلى طبقات متعددة المعاني الضمنية، مما يجعلها أداة قوية في الحوار والأدب والخطاب.

وتمحورت إشكالية بحثنا فيما يلي:- ما مفهوم الاستفهام ؟

- كيف يتجلى البعد الدلالي لأسلوب الاستفهام في سورة آل عمران ؟

واخترنا سورة آل عمران لأنها تتميز بوجود العديد من أساليب الاستفهام، التي تُستخدم لتحقيق أغراض بلاغية متنوعة، مثل: الإنكار، والتقدير، والتشويق، والتعجب. وتتوزع هذه الأساليب على امتداد السورة، حيث تساهم في إبراز المعاني والأحكام التي تتضمنها الآيات.

وقد حاولنا تقسيم البحث إلى مبحثين: الأول نظري تطرقنا من خلاله إلى مفهوم الاستفهام وأدواته، والمعاني الدلالية التي يخرج إليها الاستفهام. والثاني تطبيقي: تناولنا فيه تحليل البعد الدلالي لسورة آل عمران، وتعمقهما خاتمة، واعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب لهذه الدراسة.

البعد الدلالي للاستفهام في القرآن الكريم سورة آل عمران نموذجاً..

2. مفهوم الاستفهام

1.2. لغة: هو طلب الفهم، وتشتق كلمة استفهام من الجذر الثلاثي (فهم) والفهم أفهمه. بكسر العين في الماضي و معناه العلم والمعرفة الشيء بالقلب. فهمه، ويقال أفهمت فلانا الكلام وفهمته إياه: جعلته يفهمه وتفهمت الكلام، فهمته شيئاً بعد شيء، و"فهم" قبيلة أبو حي، وهو فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان، ويقال لسريع الفهم، فهم، وفهم (ابن منظور، د.ت، ج 12، ص 459-460)

2.2. اصطلاحاً: الاستفهام من أنواع الإنشاء الطلبي، وهو طلب العلم بالشيء الذي لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة (عبد العزيز عتيق، د.ت، ص 96) وهو "أن يستفهم عن شيء لم يتقدم به علم حتى يحصل له به علم" (ابن قيم الجوزية، الفوائد د.ت، ص: 181).

والاستفهام كما يراه ابن فارس هو طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار (ابن الزبير، د.ت، ص 89)،

كما يرى ابن يعيش أيضاً إلى أن "الاستفهام والاستخبار بمعنى واحد" فالاستفهام مصدر استفهمت أي طلبت الفهم وهذه السنين تفيد الطلب.

وكذلك الاستعلام والاستخبار مصدر استعلمت واستخبرت، و ما يستخبر عنه في جملة الاستفهام يتعلق بمفرد في بعض صيغة وفي صيغة أخرى يتعلق بنسب مثبتة أو منفية، ظنية أو يقينية، ولذا فإن الاستفهام يكون عن إخبار ولا يكون عن إنشاء أو طلب (ابن يعيش، د.ت، ج 8، ص 150-155).

أما السكاكي، فيعرفه بقوله "والاستفهام لطلب حصول في الذهن، أو المطلوب حصوله في الذهن، وما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق، ويمتنع انفكاكه من انفكاكه من تصور الطرفين والثاني هو التصور، ولا يمتنع انفكاكه من التصديق ثم المحكوم به، إما أن يكون نفس الثبوت أو الانتقاء" (السكاكي، مفتاح العلوم، ط 2014، ص 415)

ونجد أيضاً في مشروع التلخيص للقزويني أن الاستفهام وهو الطلب حصول صورة الشيء في الذهن والمراد بالصورة المعلوم، وقيل العلم، فإن كانت الصورة التي طلب حصولها في الذهن وقوع نسبة بين أمرين أي مطابقتها للواقع أو لا وقوعها - أي عدم مطابقتها للواقع (القزويني، ج 1، ص: 22).

وقد حدد اللغويون المواقع التي يمتنع فيها وقوع الاستفهام وحصرها فيما يلي: الأمر النهي التمني والنداء، وإلا يكون الاستفهام في صيغ الدعاء كما في " غفر الله له" وأيضاً لا يقع في الإنشاء غير طلبي مثل التعجب القياسي " ما أفعل" أفعل به" وفي صيغ المدح والذم، وفي القسم والرجاء ولا يكون أيضاً الاستفهام في صيغ العقود والمعاملات.

إذاً فأسلوب الاستفهام هو أحد أكثر الأساليب الإنشائية استعمالاً وأهمية، ويراد به طلب الفهم أو معرفة ما هو خارج الذهن، ويكون الاستفهام بحروف معينة، وأسماء محددة لكل منها معنى خاص، إضافة إلى المعنى الذي وضعت من أجله وهو الاستفهام..

وقد ربط النحاة استعمال أدوات الاستفهام بأنظمة نحوية حددتها كتب النحو

3.2. أدوات الاستفهام: تنقسم أدوات الاستفهام إلى قسمين:

أ/ حرفا الاستفهام _ب_ أسماء الاستفهام،

أ/ أحرف الاستفهام: الهمزة _هل_.

1/ الهمزة: وهي أم باب الاستفهام وتدخل على الجملة الفعلية والاسمية والأصل فيهما أن لا يليها إلا الفعل، إلا أنهم وسعوا فيها فأجازوا مجرد اسم بعدها، لأصالتها في باب الاستفهام [سيبويه، د.ت، ج 1، ص 99] فيجوز أن يقال أقام محمد؟ وأحمد قائم؟. كمالها حق الصدارة

وتستعمل لطلب المتصور أي الاستفهام على المفرد، و أيضاً لطلب التصديق: أي الاستفهام عن حقيقة نسبة الفعل أو الصفة إلى شخص معين (المتوكل، د.ت، ص 235).

ب/ هل: تدخل "هل" غالباً على الجملة:

_يطلب بها التصديق فقط أي معرفة وقوع النسبة أو عدم وقوعها لا غير

2/ أسماء الاستفهام:

*من: ويطلب بها شرح الاسم أو ماهية المسمى نحو: ما الكبرياء؟ وتأتي على أربعة أوجه شرطية، استفهامية، ونكرة موصوفة، واسما موصولاً، ومن تكون للاستفهام عن العاقل وتنسبه باسم أو صفة وقد توصل (من) ب (ذا) وعندها تعامل كلمة واحدة وأما اعتبار (من) للاستفهامية، و(ذا) موصولة أو زائدة فهو رأي منسوب للكوفيين.

*ما: اسم استفهام يقع على جميع الأجناس وهي بمعنى أي شيء وهي تدل على غير العاقل وعلى صفات العاقل، وتوصل (ما) ب (ذا)، وقد اختلف العلماء في أمر (ماذا) فمنهم من يرى بأنها مركبة من (ما) الاستفهام و(ذا) اسم إشارة، وآخرون يرون أن (ما) للاستفهام و(ذا) موصولة، بينما يرى البعض الآخر أن المجموع (ماذا) اسماً واحداً المعنى منه الاستفهام.

*كم: ويستفهم بها على العدد مثل قال الله تعالى: "قال قائل منهم كم لبثتم" {سورة الكهف 19}.

*أين: ظرف يستعمل للسؤال عن المكان، قد تدخل عليه (ما) فتكون زائدة وذلك للتوكيد وتكون بمنزلة (حيث) مثل: أين أسكن؟.

أني: وهي اسم يستفهم بها عن المكان أيضاً شأنها شأن (أين) كقوله تعالى: "يا مريم أني لك هذا" {سورة آل عمران 37}-أي من أين لك هذا؟.

وتكون بمعنى (كيف) فتكون كتابة عن المجال كقول الله تعالى "... قال أتى يحيى هذه بعد موتها" {سورة البقرة

259}.

*متى: ويستفهم بها عن الزمان قال: سيبويه "ومتى أي حين" (المتوكل، د.ت، ص 235) ولا يجوز الجواب عن متى بالنكرة

*أيان: اسم يستفهم بها عن الزمان ك(متى) وهي مركبة من (أي) و(أوان) فحذفت الياء الأخيرة من (أي) والهمزة من (أوان) ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء فصارت (أيان) وتختلف (أيان) و(متى) مع إتحادهما معاً في أمور.

1_ أن (متى) أكثر استعمالاً من (أيان) في الزمان

2_ أن (متى) تستعمل للشرط والاستفهام، و أما (أيان) فلم تستعمل للشرط من قبل رغم جواز ذلك عند بعض المتأخرين.

3_ أن (متى) يستفهم بها عن الماضي وعن المستقبل، وأما (أيان) فتخص في الاستفهام بالمستقبل.

*كيف: تستفهم بها عن الحال، والاستفهام و(كيف)، إما يكون حقيقياً نحو: كيف زيد ؟

أو مجازياً في مثل قوله: "كيف تفكرون بالله" {سورة البقرة 28} فإنه أخرج مخرج التعجب.

3. معاني الاستفهام:

الأصل في الاستفهام هو طلب الفهم، وهو يهدف إلى الحصول على إجابة إذا كان السائل جاهلاً " لما يسأل عنه" وقد يكون السائل عالماً بما يسأل عنه، فيكون السؤال من قبيل المجاز.

وبذلك يكون الاستفهام في الكلام حقيقياً يتوخى به المخاطب معرفة ما يجهله أو مجازياً لا يهدف إلى معرفة إجابة إنما توصيل انطباع إلى المخاطب، ومن المعاني المجازية للاستفهام نجد:

1.3. التقرير:

هو تقرير المخاطب على ما يعلم ثبوته، أو نفيه، ومعناه " يملك المخاطب على الإقرار والاعتراف أمر قد استقر عنده" {السيوطي، 79/2}، ويستعمل هذا الأسلوب لإقامة الحجة على المخاطب وإلزامه، فهو استفهام غايته حمل السامع على الإقرار "أزهر الزناد، ص: 112} ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: {ألم نشرح لك صدرك} {سورة الشرح 01}، شرحنا لك صدرك يا محمد، وتقريره لذلك لكي يشكر هذه النعمة ويقدرها.

كما قال تعالى أيضاً: {وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله} {سورة المائدة 116} الاستفهام هنا لم يطلب العلم بما لم يكن معلوماً حال الطلب، لأن المستفهم يعلم أن عيسى عليه السلام لم يقل ذلك، ومن ثم الاستخدام لم يكن حقيقياً، وإنما هناك معناً ضمناً أراد المتكلم من خلال السؤال، فهو أراد تقرير المخاطب بالفعل وقد يكون التقرير جارياً على المخاطب والمقصود به غيره، وتأكيداً لمعنى التوبيخ مثل قوله الله تعالى {إذا المؤودة سئلت: بأي ذنب قتلت} {الآيتين 8-9 من سورة التكوين} فالتقرير للمؤودة والمقصود وائدها وفي ذلك توبيخ للوائد على شناعة الأمر. ويمكن للتقرير أن يجتمع بالتوبيخ والتعجب مثل قوله تعالى {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم} {الآية 44 من سورة البقرة} واجتماع التقرير بالعتاب كقول تعالى {قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً} {الآية 75 من سورة الكهف} ويمكن للتقرير أيضاً أن يجتمع العتاب كقوله تعالى عز وجل {إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب} {الآية 81 من سورة هود}.

2.3. الإنكار:

الإنكار من الاستلزامات الخطابية لخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي، فهو استفهام عن أمر تذكره، ويرى الجرجاني في هذا النوع من الاستفهام: أنه يكون لتنبية السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويأتي بالجواب إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، أو لأنه توهم بأن يفعل ما لا يستوجب فعله. فإذا رجع فيه تنبه وعرف الخطأ، وإما لأنه وجود أمر لا يوجد مثله (عبد القاهر الجرجاني، 1993، ص 83)، ويهدف هذا الغرض إلى إنكار فعل أو قول أو اعتقاد باطل صدر من المخاطب، وبيان فسادة وتناقضه. يقوم هذا الغرض على أساسين متكاملين: الأول نفي الصفة أو المضمون المزعوم باعتباره غير قائم على دليل أو مخالفاً للمنطق، والثاني إبطال حجج المخاطب عبر إظهار التناقضات، ثغرات الاستدلال، أو النتائج السلبية المترتبة على الاحتفاظ بالباطل. يكتسب الإنكار والإبطال

أهمية خاصة في الخطاب العلمي والبحثي والحجاجي لأنه لا يكتفي بالرفض السطحي، بل يسعى إلى تفكيك البنية الحجاجية للدعاء وإظهار عدم صلاحيتها للإقناع أو للتطبيق العملي.

وفي تطبيقاته الخطابية يراعى المتكلم الدقة في الأدلة، وضبط اللغة، والابتعاد عن الهجوم الشخصي، لأن قوة الإبطال تقاس بوضوح الحجج وصرامة المنطق لا بعنف الأسلوب.

ولقد قسم البلاغيون الاستفهام الإنكاري إلى قسمين:

أ- إنكار التوبيخ: أي توبيخ على أمر وقع في الماضي بمعنى ما كان ينبغي أن يقع، كقوله تعالى على لسان لوط عليه السلام: {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ} [الشعراء: 165-166]. فالغرض هنا هو توبيخهم على فعلتهم الشنيعة وتقريعهم على مخالفتهم الفطرة السليمة (عباس، 1996، ص. 250).

ب- إنكار التكذيب: معنى لم يكن أو لا يكون أي يشمل على النوع الأول "إنكار التوبيخ". لأنه يكون على أمر وقع في الماضي، ويكون أيضاً على أمر وقع في المستقبل ومن أمثلته قوله تعالى: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيِّنَاتِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا} [الإسراء: 40]. فالسؤال يستنكر هذا التقسيم غير العادل والمنافي للحكمة والعدل.

وأشار عبد العزيز عتيق إلى أن المذكر في الاستفهام الإنكاري قد يكون هو الفعل ويقع عادة بعد أداة استفهام مثل قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً). فالمذكر هو الفعل "تتخذ" (عبد العزيز عتيق، 1971، ص. 113).

وللإستفهام الإنكاري معاني أخرى من بينها: التعجب والتوبيخ، وهذا ما أشار إليه السكاكي تعقيباً على قوله: (فَكَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ) (البقرة: 28). أن يكون قوله تعالى: (كيف تكفرون) إلى آخر الآية تعجباً وتعجباً وإنكاراً وتوبيخاً. وقد تحدث الجرجاني عن هذا الضرب في قوله تعالى: (فَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ) (الزخرف: 40). لا على أن سماع الصم مما يتعبه أحد، فيكون ذلك الإنكار، وإنما المعنى فيه التمثيل والتشبيه، وأن ينزل الذي يظن بهم أنهم يسمعون أو أنه يستطيع إسماعهم منزلة من يرى أنه يسمع الصم ويهدي العمي. (الجرجاني، ص. 84). وتقديم الاسم يدل على الإنكار، والمعنى من تقديم الاسم: هو أن يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: (أنت خصوصاً قد أوتيت أن تسمع الصم؟) وأن يجعل في ظنه أنه يستطيع إسماعهم، بمثابة من يظن أنه قد أوتي قدرة على إسماع الصم. وقد يكون المذكر المفعول، نحو قوله تعالى: (قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) (الأنعام: 74). فقد قدم المفعول الذي هو "خير" على فعله لأنه أهم من حيث الإنكار (الزمخشري، الكشاف، ص. 133).

3.3- النفي:

ومعنى النفي الطرد والإبعاد، وقد يخرج الاستفهام إلى النفي ونجده في الأساليب التي وقع في حيزها إلا "أو" و"باء الجزاء" ومن شواهد قوله تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن: 60). ومعنى الآية: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، وهذا المعنى فهمناه ضمناً ولم نقله العبارة صراحة، فالاستفهام هنا فقد شرطاً من شروط إجرائه، فالمستفهم هو الله سبحانه وهو يعلم ذلك مسبقاً، ومن ثم لا بد أن يكون هناك عرض آخر للاستفهام وفي هذه الآية تجد العرض من الاستفهام هو النفي بدليل الاستثناء الوارد في الآية، وقوله تعالى: (وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) (آل عمران: 135)، أي لا يغفرها إلا الله.

ومن أمثلة النفي أيضاً نجد قوله تعالى: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (الزمر: 9). أي: لا يستويان وفي هذا الأسلوب اجتمع فيه طرفان يرد إثبات أمر لأحدهما ونفيه عن الآخر. ومثال للتعزير قوله تعالى: (هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) (الرعد: 16).

تأتي الجملة الاستفهامية دالة على النفي، العطف عليها بالمنفي، كقوله تعالى: (فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) (الروم: 52). ومعنى الآية هنا: لا هادي لمن أضل الله.

وقد كثر خروج الاستفهام إلى النفي في كلام العرب والقرآن الكريم، لأن هذا الأسلوب يثير المتلقي ويضفي على أسلوب الاستفهام جمالية.

4. مناسبة سورة آل عمران بما قبلها وبما بعدها:

تعني المناسبة في اللغة المقاربة والمشاكلة، وفلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله (الجوهري، د.ت، ج 4، ص 224)، وأما في الاصطلاح فيعرفها مصطفى مسلم بقوله: "هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها" (مصطفى مسلم، ط 1، 1989، ص 58)، وبذلك يجري البحث في مجال علم المناسبات عن عوامل التماسك في القرآن على مستوى السور بعضها ببعض، وعلى مستوى الآيات فيما بينها أيضاً.

وترجع وجوه الالتحام بين سور القرآن وآياته إلى المعاني التي تتصل بعضها ببعض في علاقة تكاملية، فقد يعود التناسب "في الآيات والسور إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص، عقلي حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعللة والمعلول." (جلال الدين السيوطي، ط 1، 2006، ص 63)، وتؤدي معرفة هذه العلل إلى "معرفة المقصود من جميع جملها" (البقاعي برهان الدين، د.ت، ج 1، ص 6). ومن ثمة تظهر أهمية علم المناسبات في أنه وسيلة لمعرفة علل الترتيب بين أجزاء القرآن الكريم الذي يؤدي إلى تحقيق مطابقة معانيه بما يقتضيه الحال.

ينقل السيوطي أيضاً عن بعض المتأخرين قولهم: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقى له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر-عند انجرار الحديث في المقدمات- إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها" (البقاعي برهان الدين، ج 2، ص 141). فيتخلص لدينا من خلال أقوال السيوطي ومن نقل عنهم أن إجلاء المناسبة بين الآيات والسور سائغ بشروط تقي القارئ من مجاوزة التأويل إلى التّقول، أي تقويل النص ما لا يقول، أو ربما ما لا يريد أن يقول وهذه الشروط هي:

* ملاحظة الوحدة العضوية للآية من عدمها، حيث إن كانت متعلقة بما قبلها يُبحث عن وجه التعلق، وإن كانت مستقلة فما وجه إيرادها في السياق نفسه.

* تحديد الغرض العام للسورة والمقاصد التي تهدف إليها وهذا بالاستعانة بأسباب النزول لأن المناسبة "كثيراً ما يُشكل وجهها ويتوقف فهمها على معرفة السبب ولعل هذا ما يعنيه مسلك المحققين في إيجاب البدء بذكر سبب النزول، يقول الزركشي: إذا كان وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول... فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد." (ابن الزبير الثقفي، د.ت، ص 72) وبهذه الخطوة يُجمع في تفسير كتاب الله بين السبب التاريخي والسياق الأدبي.

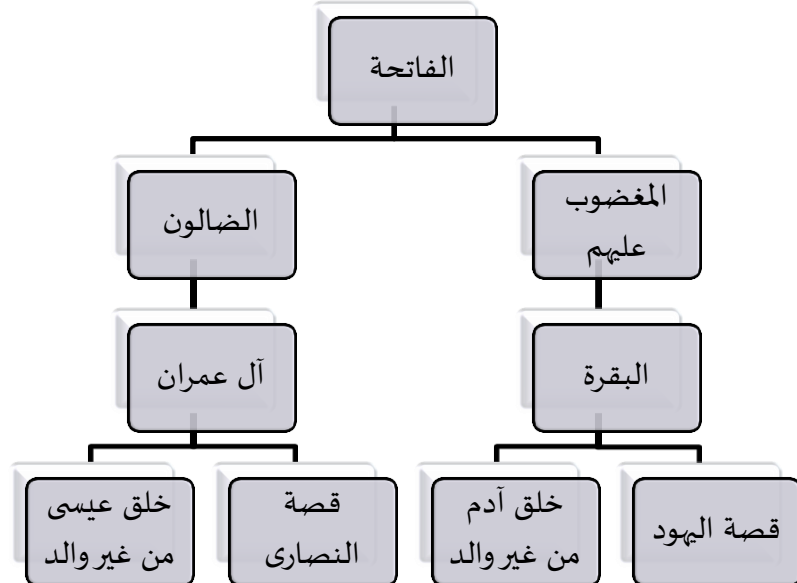
* ملاحظة المقدمات الملائمة للمقاصد المحددة آنفاً من ناحية قربها وبعدها من المقاصد، ثم بعدها نصل إلى الشرط الذي يُدرج المتلقي في عملية نظم الكلام وهو:

* اعتبار ما تنتظره نفس السامع بعد تلقيه لهذه المقدمات وما يتوق لمعرفته، فيكون تتابع الآيات شفاء لغليله وبهذا تتحقق بلاغة الترتيب بأن طابق ترتيب الآيات والسور مقتضى حال المتلقي.

وهذا الشاطبي يرى الخطاب القرآني متعلق الأجزاء ومتربطها يدور حول محاور محدودة فنجدته يقول: "إن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق ببعض لأنها قضية واحدة نازلة واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله وأوله على آخره" (الشاطبي، 1975، ج 3، ص 413)، وهذا القول مؤسس على قاعدة الاتساق والانسجام في القرآن الكريم؛ غير أنه لا يتحقق لهذا "المتفهم" المؤول للقرآن الفهم بصورة مضبوطة إلا إذا كان على علم بمقاصد الشريعة وبتضافر نصوصها وخدمة بعضها لبعض.

سورة آل عمران هي السورة الثالثة من حيث ترتيب سور القرآن، وموضعها يتوسط سورتي البقرة والنساء. فأما ما يخص مناسبتها بما قبلها، فبعد أن "خُتِمت سورة البقرة بدعاء متضمن لخصائص الشريعة الإسلامية وذلك من جوامع الكلم" (محمد بن إبراهيم الحمد، 1428هـ، ص 13)، صُدِّرت سورة آل عمران بما هو إجابة على ما ضمن في سورة البقرة بأسرها (ابن الزبير، د.ت، ص 89). وبعبارة أخرى، لقد بينت سورة البقرة الصراط المستقيم وحال أهله من الالتزام بالشريعة وهو الذي يطلبه المؤمنون في سورة الفاتحة، ثم أخبرت عن المغضوب عليهم من اليهود وعن شأنهم بالإضافة إلى الضالين من النصارى، ومن ثمة قررت سورة آل عمران أن الله تعالى أن هذا الصراط المستقيم قد بُنِي شأنه لمن تقدم في كتبهم وأن هذا القرآن جاء مصدقاً لها: > نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ < [آل عمران: 3، 4] (ابن الزبير، د.ت، ص 89).

ومن وجوه تأويل مناسبة مجيء سورة آل عمران بعد سورة البقرة ما ورد في سورة آل عمران من "قصة عيسى عليه السلام، وابتداء أمره من غير أب، والاعتبار به نظير الاعتبار بآدم عليه السلام، ولهذا أشار قوله تعالى: > إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ < كما أتبع قصة آدم بذكر بني إسرائيل لوقوفهم من تلك القصة على ما لم تكن العرب تعرفه، وأنذروا وحذروا، وأتبع قصة عيسى عليه السلام بذكر الحواريين وأمر النصارى" (ابن الزبير الثقفي، د.ت، ص 89). وهذا تفصيل ما جمعه في الفاتحة، إذ أرشد في أول البقرة إلى أن الهداية في هذا الكتاب، إلى أن ختم البقرة بالإخبار عن خُلص عباده بالإيمان بالمنزل بالسمع والطاعة، وأفهم ذلك مع التوجه بالدعاء إلى المنزل له سبحانه وتعالى كل شيء ويده النصر، علم أنه واحد لا شريك له حي لا يموت قيوم لا يغفل و أن ما أنزل هو الحق، فصرح أول هذه بما أفهمه آخر تلك، كما يصرح بالنتيجة بعد المقدمات المنتجة لها (البقاعي برهان الدين، د.ت، ج 4، ص 199). وقد حاولت توضيح هذه العلاقة بالشكل الآتي:



مخطط يُبين وجه مناسبة آل عمران بما قبلها

وأما من ناحية مناسبتها بما بعدها، فإنه لما تضمنت سورة البقرة خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم وأعقبت بسورة آل عمران لتضمنها ذكر عيسى عليه السلام بأنه مثل آدم خلق من غير أب، أعلم سبحانه في سورة النساء بأن من عدا المذكورين عليهما السلام من ذرية آدم سبيلهم بسببية الأبوين فقال تعالى: > يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم < إلى أن قال > وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً < ثم أعلم تعالى بكيفية النكاح المَجْعُول سببا في التناسل وما يتعلق به وبين حكم الأرحام والموارث (ابن الزبير الثقفي، د.ت. ص 91). ومقصود هذه السورة هو الدعوة إلى الاجتماع على التوحيد الذي هدت إليه آل عمران المبين في الكتاب الذي نوهت به البقرة وهذا التوحيد هو جوهر الفاتحة في قوله تعالى > إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ < التي هي مقسومة بين العبد وربه. فسورة آل عمران واقعة بين سورتين قد شكلت مع كلتيهما نسقا يمثل الموضوع العام للآيات القرآنية وهو إفراد الله تعالى بالعبادة.

5. البعد الدلالي للاستفهام في سورة آل عمران:

السورة	الآية التي تحتوي على الاستفهام	البعد الدلالي للاستفهام
	﴿قُلْ أُوْنِسْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾ -15-	- العرض والتقرير
	﴿قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَاسَلَمْتُمْ﴾ -20-	- التوبيخ والتنديد والأمر
	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ -23-	- التعجب
	﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ -25-	- التهويل والتعجب والاستعظام
	﴿يَا مَرْيَمُ أَنْتِ لِكِ هَٰذَا﴾ -37-	- الاستغراب والتعجب
	﴿قَالَ رَبِّ أَنْتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ -40-	- الاستغراب والتعجب
	﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ اتَّخَذْتُمُوهَا﴾ -44-	- الاستغراب والتعجب
	﴿قَالَتْ رَبِّ أَنْتَى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ -47-	- الاستغراب والتعجب
	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ... أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ -65-	- الجزء الأول إنكاري والثاني إنكاري تعجبي
	﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ -66--	- التعجب
	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ -70-	- الاستضعاف
	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ -71-	- الاستضعاف
	﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ -80-	- الإنكار
	﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ -81-	- التقرير والإنكار
	﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ -83-	- الإنكار
	﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ -86-	- النفي والإنكار والاستبعاد
	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ -98-	- الإنكار
	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ -99-	- الإنكار
	﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ -101-	- الإنكار والتوبيخ والتعجب.

البعد الدلالي للاستفهام في سورة آل عمران نموذجاً

﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾	- الإنكار والتوبيخ
-106-	
﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴾ -124-	- الإنكار
﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ -135-	- النفي
﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ -137-	- التهديد والترهيب
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ -142-	- الإنكار
﴿ أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ -144-	- الإنكار
﴿ هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ -154-	- النفي والإنكار
﴿ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرُّكُمْ مِّنْبَعْدِهِ ﴾ -160-	- النفي

تعقيب: نلاحظ في سورة "آل عمران" تنوعت أدوات الاستفهام بين "الهمزة" و"كيف" و"من"، "هل" و"أتى"

خاتمة:

سعيينا في بحثنا هذا إلى إبراز البعد الدلالي للاستفهام من خلال المعاني التي يخرج إليها الاستفهام المجازي وتوصلنا في الأخير إلى جملة من النتائج وهي:

- يعد أسلوب الاستفهام من أهم الأساليب الإنشائية الطلبية، وتكمن هذه الأهمية من خلال التأثير في المتلقي.
- لاحظنا أن أسلوب الاستفهام في سورة "آل عمران" خرج عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي ليضفي جمالية للنص وبعبارة دلالية في الجملة.
- وفي الأخير لقد تنوعت أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، و المعاني التي يخرج إليها ليكون المعنى بذلك أكثر بيانا وإعجازا.

5. قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي القاهرة:، (د.ت.).
- الجوهري إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين).
- الحمد محمد بن إبراهيم أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.
- القزويني محمد بن عبد الرحمان ، تلخيص المفتاح ، مكتبة البشرى، ط1 2010.
- الزناد الأزهري. دروس في البلاغة العربية، نحورؤية جديدة. (1428هـ).
- السيوطي، جلال الدين.. الأشباه والنظائر في النحو. (تحقيق عبد العال سالم مكرم). القاهرة: مؤسسة الصحاح. (1411هـ).
- السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. تعليق مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون. سوريا ط1 ، (2006).
- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم. الموافقات في أصول الشريعة. (تعليقات عبد الله دراز، ط2، (1975).
- المتوكل أحمد. دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية (د.ن).
- ابن الزبير أحمد الثقفي الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن. (تحقيق سعيد الفلاح ، دار الجوزية ، ط1، 1428هـ..
- ابن عامر. (د.ت.). مؤسسة الصحاح في فقه اللغة. (د.ب): (د.ن).
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الصادر بيروت .
- ابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل. دار الطباعة المنيرة، القاهرة.
- أبي يعقوب يونس بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية بيروت .
- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب ، تح: عبد السلام هارون ، دار الجيل.
- عبد العزيز عتيق، علم المعاني. بيروت: دار النهضة العربية
- مسلم مصطفى.. مباحث في التفسير الموضوعي، دار العلم دمشق ، (ط1). (1989).